الديمقراطية الغربية التقليدية

إن الديمقراطية كانت موضوع دراسة الفلاسفة والمفكرين منذُ اقدم العصور، فقد استنبط فلاسفة الاغريق العلامة الاولى للديمقراطية، ذلك عندما نادى افلاطون بأن مصدر السيادة هي الارادة المتحدة للمدينة، اما ارسطو فقد اكد على ان السلطة تنبع من الجماعة ولا تنبع من شخص الحاكم بذاته.

وجاءت الثورة الفرنسية واعتنقت الديمقراطية التي تعرف في الفقه الدستوري، وفي مجال السياسة بالدمقراطية التقليدية او الديمقراطية الغربية التقليدية.

يقصد بالديمقراطية الغربية التقليدية، (هي ذلك المذهب السياسي الذي تفجرت بالاستناد اليه جميع الثورات التحررية في اواخر القرن الثامن عشر، مثل الثورة الدستورية في بريطانيا والثورة الأميركية لعام ١٧٧٦ والثورة الفرنسية لعام ١٧٨٩.

إن الديمقراطية الغربية التقليدية قامت على عدة افكار منها:

١-الفكرة القائلة بنقل السلطة من يد الملوك الى يد الشعوب.

٢-اقامة النظام السياسي للحكم على الفكرة النيابية.

٣-العمل بمبدأ الفصل بين السلطات .

هكذا بدأت الافكار الديمقراطية بالظهور هادفة الى تخليص المجتمع السياسي من نظام الاقطاع وحكم الكنيسة اللذان كانا سائدين في العصور الوسطى، التي اتسمت بأنها كانت عصوراً من الظلم والظلام اهدرت فيها جميع المعاني الديمقراطية والانسانية، الى ان ظهرت بشائر الثورة الصناعية التي قضت على العهد الاقطاعي ومساوئه، وبعثت الديمقراطية من جديد لتتمرد على الحكم الاستبدادي الفردي لأمراء الاقطاع، وكانت فاتحة ذلك انكلترا وأمريكا الشمالية وفرنسا ، الذين عرفوا المواثيق والاعلانات والحركات التحررية قبل غيرهم من الدول .

ان الديمقراطية الغربية التقليدية بصورتها الراهنة هي حصيلة تطور كبير استغرق لأكثر من قرنين، وكان هذا التطور حافلاً بالصراع السياسي والاجتماعي والفكري، فقد شهدت ثورات كثيرة حتى استقرت الصورة في شكلها الحالي الذي نعرفه اليوم، وبهذا نستطيع القول بأن الديمقراطية الغربية التقليدية نشأت وتطورت في انكلترا ومن ثم امتد هذا النظام الديمقراطي الغربي في الدول الاوربية بعد قيام الثورتين الامريكية والفرنسية .

اولاً: نشأة النظام الديمقراطي في انكلترا:

إن الانظمة الاوربية كانت قائمة خلال العصور الوسطى وما بعدها على نظرية الحق الالهي للملوك، وهي النظرية التي جعلت من الملوك هم ظل الله في الارض وانهم يستمدون سلطتهم من الله سبحانه وتعالى، فقد قام خلال القرن الثامن عشر في اوروبا فلاسفة ومفكرون قادوا ثورة فكرية أدت الى قلب المفاهيم التي قامت عليها سلطة الملوك، فنادوا بسلطة الشعب، وقالوا بأن السلطة هي للشعب الذي يجب ان يمارسها بحريته و ارادته وان يحكم نفسه بنفسه، وكان في مقدمة أولئك الفلاسفة والمفكرين الذين نادوا باعتماد سلطة الشعب، الفيلسوف الانكليزي(جون لوك) والفيلسوف الفرنسي (جان جاك روسو).

فقد وصل التطور بالبرلمان الانكليزي الى حيث اصبح يمثل سلطة موازية لسلطة الملك، وهكذا ففي مطلع القرن الثامن عشر بدأت المؤسسات السياسية الديمقراطية في انكلترا وظائفها الفعلية والحقيقية. هذا في الوقت الذي بقيت فيه اوروبا محكومة بواسطة السادة والاشراف، مما ادى الى اندلاع ثورة ثقافية حقيقية في الغرب ادت الى اهتزاز عميق لجميع القيم والانظمة الراسخة واحلال انظمة جديدة محلها تولدت شرارتها من ثورة (كروميل) في انكلترا التي نادت بشعار(مجتمع بلا ملوك او نبلاء او اشراف).

ثانياً: نشأة النظام الديمقراطي في أمريكا:

اما بخصوص انتشار النموذج الديمقراطي في الولايات المتحدة الامريكية، فقد كان النموذج الانكليزي قد شكل انعكاسا جذريا على كافة الثورات التحررية في العالم، ولهذا فقد تضمن اعلان الاستقلال لعام ١٧٧٦ انتصاراً للأفكار الديمقراطية وروح الاستقلال السائدة في القرن الثامن عشر، وخاصة فيما يتعلق بحماية الحقوق الفردية .

ثالثاً: نشأة النظام الديمقراطي في فرنسا:

وفي فرنسا، فقد قضت الثورة الفرنسية لعام ١٧٨٩ على مبدأ الحكم المطلق القائم على النظريات الثيوقراطية لتحل مكانها النظريات الديمقراطية المتمثلة بنظرية سيادة الامة ، التي جعلت من الملوك مجرد رؤساء للدول تمارس في مواجهتهم السلطة البرلمانية النيابية الممثلة للشعب، الذي هو مستودع السلطة وصاحبها الاصيل .

لقد سميت الديمقراطيات النيابية بديمقراطيات ليبرالية ، وسبب هذه التسمية، يعود الى ان هناك سبب تاريخي؛ فمعظم الدول الغربية اصبحت دولاً ليبرالية قبل ان تصبح ديمقراطية، اي انها اقامت نظاما دستوريا ليبراليا قبل ان تمنح حق الاقتراع العام او تنشئ احزابا سياسية.

فقد كانت السمات الرئيسية لهذا النظام الليبرالي هي اخضاع الحكومة للقوانين التي يقرها البرلمان المنتخب من قبل الشعب وكفالة حقوق الافراد وحمايتها و وجود سلطة قضائية مستقلة تعمل على حماية القانون والحقوق الفردية .